

الدولة السلوقية تأسيسها وطبيعة تكوينها

أ. مراد محمد إسماعيل

قسم التاريخ - شعبة التاريخ اليوناني الروماني
كلية الآداب - جامعة عين شمس

تأسيس الدولة السلوقية

كانت الدولة السلوقية واحدة من الدول التي قامت على أنقاض إمبراطورية الإسكندر الأكبر ، فبعد وفاته في ٣٢٣^(١) ، برزت مشكلة عظيمة بين قاداته وهي مشكلة وراثته العرش ، وبدأ الصراع بينهم من أجل السيادة والسيطرة^(٢) ، فقد مات الإسكندر دون وريث له ، ولم تضع زوجته روكسانا الفارسية جنينها بعد ، ويقال بأن الإسكندر عندما سئل وهو على فراش الموت ، لمن يؤول العرش من بعده قال: للأقوى^(٣) ، وقام قادة الجيش المقدوني بعقد مؤتمر في بابل ، للفصل في مشكلة وراثته العرش ، وكان من نتائج هذا المؤتمر إسناد مهمة ولاية بابل إلى سلوقس^(٤) ، وتولي برديكاس Predicts قائدًا عامًا للجيش ، وقسمت ولايات الإمبراطورية بين باقي القادة ، فتولى بطليموس

(١) جميع التواريخ الواردة في هذا البحث قبل الميلاد.

²- Rapael Harris, The Concise History of Anti-semitism in Persia. 2007, p18.

(٣) أبو اليسر فرح ، للشرق الأدنى في العصرين الهلنستى والروماني ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ٢٠٠٢ ، ط١ ، ص٤٣.

(٤) مفيد الماعذ ، سورية في عصر السلوقيين من الإسكندر إلى بومبيوس من ٣٣٣-٦٤ ق م ، دمشق ١١٩٣ ، ص٥٢.

ولاية مصر ، وأنتيجونوس Antigonos ولاية أسيا الصغرى ، وأسند إلى أنتيباتروس Antepatrus مهمة الإشراف على بلاد اليونان ، أما سورية فكانت من نصيب لاميدون Lamedon^(١) ، وأما سلوقس بن انطيوخس الذي قدر له ، أن يؤسس دولة كبرى هي الدولة السلوقية ، ويفترض به أن يكون نبيلاً مقدونيا ، وتختلف المصادر في سنة ولادته بين سنتي (٣٥٨-٣٥٤) ، ولكن معظمها يجمع على أنه ولد في مدينة يوروبوس Europolis^(٢) في مقدونيا ، وأمه تدعى لاوديكي Laodice ، وجده لأبيه دعي سلوقس أيضاً ، وسلوقس اسم مقدوني قديم ولكنه لم يستخدم في بلاد الإغريق ذاتها إلا بعد موت الإسكندر^(٣) ، وكان سلوقس واحداً من كبار الضباط في جيش الإسكندر ، ولاشك بأن سلوقس كان شجاعاً ، وصائب الرأي فأحبه الإسكندر وصار أحد رفقاءه^(٤) ، يمكننا أن نكون فكرة في أذهاننا عن شخصية سلوقس وصفاته ، من خلال التدقيق بملامحه التي تظهر في صورته على النقود أو في تماثيله ، فنلاحظ أن جبهته عريضة وعينه غائرتان وأنفه دقيق وشفاه حازمتان ، ويمكننا أن نقول إن جاز لنا التعبير أن ملامحه تتم عن صفات رفيعة جديرة بعاهل عظيم ، كشفت سيرة حياته عن صفاء ذهنه وقوة إرادته ودهائه السياسي

^١ - Diod, XVIII, 3.

(٢) من الجدير بالذكر أن الاسم تحمله مدينتان واحدة على نهر اكسيوس Axios والثانية في مقاطعة ألموبية Almopia ، ويزيد الأمر غموضاً أن موقع للمدينتين غير معروف إضافة إلى أن المؤرخ (مالالاس) يذكر أن سلوقس ولد في العاصمة بيلا Pella. فنظر: مفيد العابد المرجع السابق. ص. ٤١.

(٣) مفيد العابد. المرجع السابق. ص. ٤١ ، ٤٢.

(٤) مفيد العابد. إنشاء المدن في إطار السياسة السلوكية للهليانة سورية. رسالة ماجستير. جامعة عين شمس. القاهرة. ١٩٧١. ص. ٨.

وطموحه وشدة بأسه^(١) ، وطالما كانت المصاهرات السياسية من أهم الأساليب الدبلوماسية في العصر الهلنستي ، فقد كان سلوقس ابن عصره في هذا المجال ، فعقد خلال حياته زيجتين كانت أولهما من أباما Apama الفارسية بنت سبيتامينيس Spitamenes حاكم ولاية سوجديانا ، التي منحها الإسكندر إياها في زواج سوسا الكبير عام ٣٢٤ ، و احتفظ سلوقس بها بعد وفاة الإسكندر بخلاف القادة الآخرين ، وانبعثت السلالة السلوقية من هذا الاتحاد الفارسي المقدوني^(٢) ، وزواجه الثاني كان من ستراتونيكي Stratonike ابنة دمتريوس التي تزوجها في غمرة محالفات التصاهر التي عقدها خلفاء الإسكندر بعد معركة إبسوس Ipsus^(٣) ، أما بالنسبة للمصاهرة التي ارتبط فيها بالملك الهندي شاندراجوبتا Shandra Hhubta فقد أحاط بها الغموض^(٤). ويتضح من أمر سلوقس في مصاهراته بأنه ابن عصره فعلاً ، فتلك الزيجات كان لها أثارٌ سياسية واضحة ، فقد ضمن باستبقاء أباما ولاء المناطق الفارسية ، وبزواجه من ستراتونيكي كسب حليف قوي مثل دمتريوس تدين له بالولاء أغلب المدن الإغريقية ويملك أسطولا قويا ، وأمن بمصاهرته مع الملك الهندي حدوده الشرقية بالإضافة إلى الفوائد الاقتصادية^(٥) . ولا يخفى على أحد أهمية

^١ - Diod, XIX, 90, 3.

^٢ - Ehsan Yarshater. The Cambridge History Of Iran. The Seleucid Parthin And Sasanian Periods London. 1983, P. 4.

(٣) إبسوس: منطقة تقع في فريجيا حدثت فيها سنة ٣٠١ ق م ، المعركة المعروفة باسمها بين خلفاء الإسكندر وسناتني على نكرها لاحقاً.

(٤) عن هذه المعاهدة انظر: أبو اليسر فرح. حملات الإسكندر الأكبر وتطور المعلومات الجغرافية عند الإغريق. حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس. المجلد ٢٧. العدد الثاني. ١٩٩٩ ص ٥٦.

(١) مفيد العابد. المرجع السابق. ص. ٤٢ - ٤٥.

ولاية بابل التي كانت من نصيب سلوقس ، بالإضافة لموقعها الجغرافي الهام الذي يمنحها ميزات اقتصادية وإستراتيجية ، لدرجة أن الإسكندر الأكبر كان يفكر في اتخاذها مقراً لإدارة الإمبراطورية ، مما جعل مهمة حكمها مهمة عسيرة^(١) ، و عندما قام أنتيجونوس بإعلان الحرب على يومينيس الممثل الشرعي للسلطة الملكية ، غادر يومينيس أسيا الصغرى ، وناشد سلوقس لمساعدته لكن دون جدوى ، وعقد أنتيجونوس حلفاً مع سلوقس ضد يومينيس عام ٣١٧ ، وطارده متقماً نحو فارس ودخل سوسا بلا مقاومة ، وقضى على يومينيس وأعدمه ، وصار يتصرف وكأنه السيد في أسيا^(٢) ، وأثارت تصرفات أنتيجونوس القلق في نفس سلوقس ، ولم يكن باستطاعة سلوقس أن يقف في وجهه ، لعدم توازن قوتيهما^(٣) ، ولمس سلوقس نوايا أنتيجونوس السيئة ، ولما كان سلوقس متأكداً من عدم جدوى المفاوضات مع أنتيجونوس ففر فجأة إلى بطليموس في مصر وبصحبة خمسين فارساً^(٤) ، ومنذ وصول سلوقس إلى مصر عمل على التهيئة لإشعال نار الحرب ضد أنتيجونوس ، وذلك بإيغار صدر بطليموس ضده ، وحثه على عقد تحالف مع كاسانديروس (الوصي على العرش) ، و لوسيماخوس (أحد القادة في أسيا الصغرى) ضد أنتيجونوس^(٥) ،

^١ - Bevan, E. R, The House Of Seleucus, I, London, 1902, p.p. 37- 41.

^٢ - Jouguet, Alexander The Great and The Hellenistic World, Tr, By M.R, Dobie, Chicago, 1978, p.147.

^٣ - App, SYR, 53.

^٤ - William Scott Ferguson, Greek Imperialism, Harvard University, Batoche Books, Kitchener, 2001, p.94.

(٢) ابراهيم نصحي ، تاريخ مصر في عصر البطالمة ، ج ١ ، ط ٣ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٦ ص. ٧٢ .

وأثمرت جهود سلوقس بالنجاح فقام بعقد اتفاق رباعي مع الحلفاء ، وقاموا بإرسال رسالة مشتركة إلى أنتيجونوس ، وطلبوا منه عدة مطالب رفضها جميعها ، فبدأ الصراع فيما بينهم ، وأسهم سلوقس بجهد وافر في عدة ميادين لنصرة حلفائه ، وأهم تلك المعارك معركة غزة ٣١٣-٣١٢ ، حيث كان سلوقس حليفاً لبطليموس فيها وانتصر بطليموس على ديمتريوس بن أنتيجونوس ، وقلبت نتائج المعركة موازين القوى وأصبح الطريق مفتوحاً أمام سلوقس لاستعادة ولايته (بابل) ، ونجح سلوقس باستعادة بابل في ٣١٢ بمساعدة بطليموس^(١) ، وفيما بعد اعتبر سلوقس هذا اليوم (أول دبوس/أكتوبر/تشرين الأول) عام ٣١٢ التاريخ الحقيقي لتأسيس الدولة السلوقية وبداية التقويم السلوقي^(٢) ، وربما كان التقويم السلوقي الإنجاز الأكثر أهمية في ذلك العام ، واستعمل حتى ظهور الإسلام ، وسمي التقويم اليوناني من قبل السوريين واليهود ، ومازال موجوداً حتى اليوم ، لكن بشكل محدود^(٣) ، وقبل استعادة سلوقس ولايته كان أنتيجونوس قد أوكل أمر الولايات الشرقية إلى نيكانور Necanor والي ميديا ، بسبب مشاكله المتعددة في الغرب مع كاسانديروس والمدن الإغريقية^(٤) ، وعندما علم نيكانور بعودة سلوقس ، سارع إلى بابل بجيشه ، وتمكن سلوقس من تشكيل جيشه بشكل جيد ، وعبر نهرجلة قبل نيكانور واستفاد من عنصر المفاجأة ، وهزم نيكانور هزيمة

(٣) أبو اليسر فرح ، للمرجع السابق ، ص ، ١٢٣.

2- Tam. W. W. The Greeks In Bactria And Indi, Cambridge, 1966, pp. 7- 46.

3- Philip K. Hiti. The Near East In History. A5000 Year Story. U. S. A. 1961. P.

118.

4- App., Syr, 55. Diod. , XIX, 92,100,3.

ساحقة ، وفتح الطرق أمام سلوقس لفتح الولايات الشرقية ميديا Media وسوسيانا Susiana وفارس Persia ، فقرر أنتيجونوس أن يكسر شوكة سلوقس ، فأرسل ابنه دمتريوس إلى بابل على رأس جيشاً قوامه خمسة عشر ألفاً من المشاة وأربعة آلاف فارس ، فقام سلوقس بإخلاء بابل لأنه ليس من الحكمة الاشتباك معه في معركة نظامية ، ودخل دمتريوس بابل دون مقاومة ، وعندما أدرك عجزه عن اللحاق بسلوقس وتحطيم قوته عاد إلى والده وبعد عودته عام ٣١١ ، استحوذ سلوقس على المنطقة من جديد وخلال التسع سنوات التالية (٣١١ - ٣٠٢) ، بسط سيطرته على إيران ووادي الفرات^(١) ، وخاض صراعاً مع ملك الهند شاندراجوبتا Shandrahutba مؤسس السلالة الموريانية في الهند ، وذلك من أجل تأكيد سيطرته ، ورأى الطرفين أنه لاجدوى من القتال الدائر بينهما ، ولم يشأ سلوقس أن يوزع قوته بين الشرق والغرب^(٢) ، فاتفق الطرفان على توقيع معاهدة بينهما عام ٣٠٢ ، وأسفرت عن مصاهرة بينهما ، وكانت هدية الملك الهندي التي قدمها لسلوقس عبارة عن خمسمائة فيل هندي ، وتنازل سلوقس لشاندراجوبتا عن الأراضي التي تقع على الضفة اليمنى لنهر السند ، مثل قندهار Gandahar وجروسيا Gadrosia وأراخوسيا Arachosia واحتفظ لنفسه بولاية باكتريا Bactria^(٣) ، وأرسل سلوقس سفير دائم إلى بلاط شاندراجوبتا يدعى ميجاستينز Megasthenes^(٤) ، وبينما كان

^١ - Bevan, I, op, cit, p.54,57.

^٢ - Jouguet, P, op, cit, p.150.

^٣ - Walbank, Walbank. F. W, The Hellenistic World. London. 1992, p54.

(٣) أبو اليسر فرح. حملات الإسكندر الأكبر وتطور المعلومات الجغرافية عند الإغريق. المرجع سابق.

أنتيجونوس مشغولاً بحرب سلوقس في الشرق ، حدثت في الغرب أحداثاً بالغة كان لها نتائج هامة في مسيرة سلوقس القادمة ، فعندما بلغ الإسكندر الرابع سن الثالثة عشرة ، أخذ بعض المقدونيون يقولون: إن الوقت قد حان ليتولى السلطة بنفسه ، فأقدم الوصي عليه كاسانديروس بقتله وقتل أمه روكسانا^(١) ، وبعد أن أصبح كاسانديروس سيد مقدونيا ، تزوج من تسالونيكي ابنة فيليب الثاني وأخت الإسكندر الأكبر ، مما أتاح له الإدعاء بوراثته حقوق الأسرة المالكة المقدونية ، وفي تلك الأثناء استعاد بطليموس سيادته على بحر إيجه ، وأضحت جبهة أنتيجونوس الغربية مكشوفة ، فبادر لعقد الصلح مع سلوقس عام ٣٠٨ ليتنسى له توجيه اهتمامه للغرب ، فحرر أثينا من حاميات كاسانديروس ، وأرسل ابنه دميتريوس عام ٣٠٦ للاستيلاء على جزيرة قبرص ، كونها من أهم القواعد البحرية لبطليموس وتحطيم أسطولها ، ونجح دميتريوس في بلوغ هدفه ، وفقدت مصر قبرص وكل ممتلكاتها الخارجية وسيادتها على بحر إيجه^(٢) ، بعد هذا النصر اتخذ أنتيجونوس لقب ملك وخلعه على ابنه^(٣) ، وحذا حذوه باقي خلفاء الإسكندر ، وإن كان هناك خلاف بين المؤرخين حول التاريخ الذي أقدم فيه الخلفاء على اتخاذ تلك الخطوة التي أكدت استقلال كل منهم بولايتهم وانحلال الإمبراطورية ، ولكن لا يوجد خلاف حول اتخاذ الخطوة نفسها^(٤) ، فعلى سبيل المثال ورد عند Walbank العام الملكي الاول لسلوقس ٣٠٤/٣٠٥ في السنة السابعة للحكم السلوقي ، وبناءً على ذلك تكون السنة قد بدأت في عام ٣١٢/

^١- C. A. H. VI, P.489.

(١) ابراهيم نصحي: المرجع السابق.ص. ٧٧ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٨٢.

^٣- Plut., 18, 1

(٣) مفيد العابد. المرجع السابق.ص. ٥٨ .

٣١١ ، ووفقاً للحسابات الإغريقية تبدأ في تشرين الأول/ اكتوبر من عام ٣١٢ ، ووفقاً للحسابات البابلية بدأت في نيسان/ ايريل ٣١١ ، وثبتت الوثيقة أن إفادة بلوتارخ Plutarch غير مؤكدة والتي فحواها أن سلوقس كان قد تعامل مع البرابرة كملك في السابق^(١) ، و تم إحياء الحلف القديم ضد أنتيجونوس في العام ٣٠٢ ، والذي ضم كلاً من كاسانديروس و لسيماخوس و سلوقس و بطليموس ، وتمكن الحلفاء في عام ٣٠١ من إلحاق هزيمة ساحقة بأنتيجونوس في إيسوس Ipsus في إقليم فروجيه وخرقيها قتيلاً ، وفر ابنه دمتریوس ودعيت تلك المعركة بموقعة الملوك ، وبموجب نتائج المعركة سيطر سلوقس على سوريا ، وسيطر لسيماخوس على أملاك أنتيجونوس في آسيا الصغرى^(٢) ، ومنذ ذلك التاريخ ، بدأت المشكلة السورية بين البطالمة والسلوقيين ، وكان سببها الرئيسي النزاع بين الطرفين على جوف سوريا Koil Syria ، لأن بطليموس عندما سمع نبأ كاذب فحواه أن لسيماخوس هزم في المعركة وأنتيجونوس في طريقه إلى سوريا^(٣) ، قام بإخلاء جوف سوريا وانسحب إلى مصر ، وعندما علم بالحقيقة عاد واحتل الإقليم ، فاعتبره الحلفاء خائناً وقرروا حرمانه منه ، ومنح الإقليم لسلوقس ، الذي لم يتخلى عن المطالبة بأحقية بامتلاكه ، إلا أنه في الوقت الحاضر لم يشأ أن يدخل في نزاع مع بطليموس لأنه صاحب فضل عليه عندما ساعده في العودة إلى بابل^(٤) ، أما بالنسبة لدمتریوس فقد كان لا يزال يتمتع بقوته وبالأخص البحرية ، وبعد وفاة

^١ - Walbnk. op. cit. p. 56.

^٢ - William Scott Ferguson, op, cit, p. 95.

(٢) إبراهيم نصحي: المرجع السابق ص. ٨٥.

^٤ - C. A. H. VII. P. 76.

كاساندوس أصبح عرش مقدونيا فارغاً ، فقام قادة الجيش في مقدونيا باستدعاء دمتریوس وتنصيبه ملكاً لمقدونيا عام ٢٩٣ ، ومن ثم توترت العلاقات بينه وبين سلوقس ، وشن حرباً يائسة على سلوقس عام ٢٨٥ ، مما اضطره إلى التسليم لسلوقس الذي ألقي القبض عليه وسجنه سجناً مريحاً إلى أن وافته المنية عام ٢٨٣^(١) ، كما رأينا ماكاد الإسكندر يموت حتى اندلع الصراع بين قائده ، وامتد هذا الصراع من مصر إلى تساليا ، ومعظم تلك الصراعات حدثت في غربي آسيا ، وقصتها ملأى بالأحداث المثيرة وتقلب حظوظ القائمين بها ، وهي سجلاً رتيباً لمذابح ونماء مهدورة وخيانات ، وهلك خلالها معظم قادة جيوش الإسكندر وأمه أولمبياس العاصفة السفاحة ، وابنه الطفل وزوجته روكسانا^(٢) ، وأسفرت تلك الصراعات إلى وجود ثلاث ممالك على رأسها ثلاث حكام أقوياء وهم: لسيماخوس وبطليموس وسلوقس ، الذي أخذ حصّة الأسد كنتيجة لمعركة إبسوس ، والذي بسط سلطته على أكبر الممالك ، التي امتدت من حدود سوريا حتى البنجاب شرقاً^(٣) ، ويرى المؤرخ أريان Arrian أن سلوقس كان أكثر هؤلاء الحكام شبهاً بالإسكندر^(٤) ، وكان يتطلع دائماً لتحقيق مكاسب في بلاد اليونان ، فإن الأقدار بدت وكأنها تهيب له الأسباب لتحقيق أطماعه ، عندما فرّ من مصر بطليموس كيراونوس Keraunos أكبر أبناء بطليموس الأول من زوجته السابقة يورديكي ، بعد أن قام والده بتفضيل

^١ - Plut., 46- 52.

(١) أندرو روبرت برن. تاريخ اليونان ، ترجمة محمد توفيق حسين ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨٩ ، ص ٤٤٧.

^٣ - Philip K. Hiti. Op. cit. p. 118.

^٤ - Arrian, Anab, VII, p.73.

أخاه الأصغر عليه من زوجته الجديدة برنيكي وتسميته وليًا للعهد^(١) ، فتوجه بطليموس كيراونوس الملقب بالصاعقة إلى لسيماخوس لمساعدته في إعادة حقه المسلوب ، وكان لسيماخوس زوجًا لأرسينوى الأخت غير الشقيقة لبطليموس الصاعقة ، ولقد أقدم لسيماخوس على قتل ابنه أجاثوكلس بتحريض من زوجته أرسينوى ، من أجل تولي أحد أبناءها العرش ، مما أثار السخط ضد لسيماخوس ، ونقم عليه بلاطه والمدن الداخلية في نطاق إمبراطوريته ، والتجأت ليساندرا Lesandra أرملة الأمير المقتول إلى سلوقس لنجبتها^(٢) ، وفي سنة ٢٨٢ اتجه سلوقس على رأس قواته إلى آسيا الصغرى ، وأخذ حكامها يفتحون أبواب مدنهم الواحد تلو الآخر في وجه الغازي الجديد انتقامًا لأجاثوكلس ، واستولى سلوقس على أهم المدن الرئيسية في آسيا الصغرى مثل سارديس Sardis ، ولم تحل سنة ٢٨١ حتى كانت معظم آسيا الصغرى ، وإمبراطورية لسيماخوس الآسيوية في قبضة ، وفي نفس العام وبالقرب من كوربديون Gorpedion في لودية ، نشبت بين الغريمين الكبيرين معركة هائلة خرت فيها لسيماخوس صريعًا في ربيع عام ٢٨١ ، وبالتالي أضحى سلوقس يسيطر على كل إمبراطورية الإسكندر ما عدا مصر وممتلكاتها^(٣) ، ودار في

^١ - Bevan: I, op. cit. p. 69.

^٢ - Rostovt Zeff. M. The Sociol And Economic History Of The Hellenistic World. Oxford. 1953. p. 23.

(٢) قتل لسيماخوس بضربة رمح من أحد اللاجئين كان في خدمة سلوقس ، وقد طلبت أرملة أجاثوكلس من سلوقس عدم السماح بدفن جثة لسيماخوس ، إلا أن سلوقس وافق على طلب إسكندر بن لسيماخوس بدفن جثمان لسيماخوس بعيدًا ، حيث بقي فيه معروفًا ومرئيًا لقرون عديدة بين المدينتين الصغيرتين Pactye وCurdia في آسيا الصغرى.

انظر: Bevan: I, op. cit. p. 71.

خلد سلوقس فكرة إحياء إمبراطورية الإسكندر ، ونسي ما بذله من وعود لبطلليموس الصاعقة ، وعبر الدردنيل في بداية عام ٢٨٠ ليستولي على مقدونيا قلب الإمبراطورية ، لكن بطلليموس الصاعقة بعد أن شعر بأن سلوقس لن يقيمه على مصر ، وسيبدد أحلامه في مقدونيا ، فانقض عليه وقتله ، ونادى الجيش بقاتل آخر خلفاء الإسكندر الذي عاصروه ملكاً على مقدونيا^(١) ، هكذا رسمت نهاية سلوقس الاول نيكاتور ، الذي كان من أكثر الجنرالات الناجحين الذين خلفوا الإسكندر ، وامتدت مملكته من الساحل الإيجي للأناضول إلى الهند الحديثة ، وضمت ساتراابية بابل إضافة إلى سورية وبلاد فارس وباكتريا ، وأغلب آسيا الصغرى ، وجاء موته مفاجئاً قبل أن يتحقق له توحيد إمبراطورية الإسكندر ، وازدهرت سلالته في آسيا من (٦٤ إلى ٣١٢) ، أي أكثر من ٢٠٠ سنة ، ودامت حتى حفيد سلوقس العظيم انطيوخس الثالث عشر

AntiochusXIII الذي خلع من قبل القائد بومبي Pompey عام ٦٤^(٢).

طبيعة الدولة السلوقية وتعدد القوميات فيها:

كانت إمبراطورية الإسكندر الأكبر التي لم تعمر طويلاً نوعاً فريداً من الإمبراطوريات ، فعندما نتذكر ما كانت عليه البلاد الواسعة التي احتلها من تباين في تجاربها الحضارية والسياسية ، بحيث أنه لم يكن ثمة مثل أعلى واحد يربط بين شعوبها وأجزائها ، ندرك أن الإسكندر صاحب الحلم الكبير الذي قضى على الإمبراطورية الفارسية ، وجد نفسه يعمل في وعاء كبير اختلفت العناصر الموجودة فيه اختلافاً كبيراً ، ومع ذلك فإن الإسكندر كان رجلاً

¹ - C. A. H. VII. P.98.

² - Peter Green. Alexander To Actium. London. 1990. p.133.

عظيمًا استطاع تغيير الكثير خلال حياته القصيرة تلك ، وأعماله العظيمة كانت فاتحةً لعصرٍ جديدٍ هو العصر الذي أطلق عليه فيما بعد تسمية (العصر الهلنستي) ، وامتاز الإسكندر بسعة أفقه ، وعنايته بالإنفس الإنسانية ، وبعد أن كانت الفكرة اليونانية محلية مقيدة بالمدينة ، أصبحت تُعنى بالإنسان فردًا وبالمجتمع جماعة عالمية ، وبالنظر إلى تركيبة إمبراطوريته يمكننا أن نطلق عليها وصف "الإمبراطورية العالمية"^(١) ، والدولة السلوقية التي نتجت عن تمزق إمبراطورية الإسكندر اكتسبت صفة العالمية ، لكن على نطاق أضيق ، فكانت دولة عالمية يجمعها شخص الملك ، الذي كان بمثابة نقطة مركزية ورباط يضم تشكيلة كبيرة من الشعوب المختلفة الأصل والثقافة^(٢) ، فقد كانت الدولة من أكبر الدول الهلنستية مساحةً ، ونتج عن اتساعها وجود عدد كبير من الشعوب تحت سلطانها ، فقد بلغ عدد سكانها ثلاثين مليون نسمة تقريباً^(٣) ، ومن الطبيعي أن تكون نسبة اليونانيين منهم (على الرغم أنهم كانوا كثيري العدد) نسبةً ضئيلة جدًا ، لكنهم كانوا الفئة الحاكمة^(٤) ، وضمت الدولة السلوقية العديد من المناطق والأمم ، ولكل منها عاداته وتقاليده ونمط حياته ، منذ أيام الفرس (تقاليد داريوس وخلفاؤه) ، ومن بعدهم الإسكندر وخلفاؤه من بعده ، مما استدعى إلى تقسيمها إلى وحدات إدارية مستقلة ، وهذا التقسيم لم

^١ - Bell, H. I. Egypt From Alexander To THE Arab Conquest. Oxford. 1948. p. 30.

(٢) عبد الله الحلو. صراع الممالك في التاريخ السوري القديم ما بين العصر السومري وسقوط المملكة للتمرية. بيسان. بيروت. ط١. ١٩٩٩. ص. ٢٤٥.

^٣ - Grant. M. From Alexander To Cleopatra. The Hellenistic World. London. 1982. P.48.

(٤) نقولا زيادة ، الحكم السلوقي في بلاد الشام. أسسه وأساليبه ، مجلة الفكر العربي ، العدد. ٢٢ ، ليلول/سبتمبر ، تشرين الأول/أكتوبر. ١٩٨١. ص. ٢٨١ - ٢٠٢.

يكن مصطنعًا ، بل ضرورة تاريخية وطبيعية^(١). وقسمت الدولة السلوقية إلى ثلاث أقسام رئيسية وهي: آسيا الصغرى (الأناضول) ، و المناطق الشرقية (بلاد فارس والولايات الشرقية) ، وسوريا (بلاد الرافدين مع سوريا وفينيقيًا)^(٢).

آسيا الصغرى (الأناضول)

لقد شكلت آسيا الصغرى الجزء الشمالي الغربي من الإمبراطورية المشهور بجباله ووديانه وسهوله وأودية أنهاره الخصبة ، بالإضافة إلى خطها الساحلي وموانئه الرائعة المفتوحة على الشمال والغرب والجنوب ، واختلفت المنطقة عن المناطق التي جاورتها ، من حيث جغرافيتها واقتصادها وأجناسها والبيئة الحضارية والاجتماعية ، واختلفت أنظمة الحياة فيها لدرجة يمكن وصفها بأنها معقدة ، فهي عبارة عن تكتل متنوع من مدن الساحل المتقدمة زراعيًا وتجاريًا ، أما بالنسبة لسكانها فقد كانوا مزيجًا من السكان الأصليين والغزاة الحثيين والتراقيين وبعض الأوتاد السامية والفرس (خلال الحكم الفارسي) واليونانيين (في المدن الساحلية) ، ووجد في وديان الأنهار التابعة للأراضي الأناضولية الممتدة عبر جبل طوروس وخلفها عناصر تعود بثقافتها إلى الثقافة الحثية القديمة ، كل هذا مزج في آسيا الصغرى ونتج عن ذلك حضارة متنوعة ، وهذا الطابع اتسمت به حضارة الأناضول^(٣) ، وهي لم تخضع للسلوقيين تمامًا ، بل كانت مسرحًا لصراعهم مع البطالمة ، هذا بالإضافة إلى قيام بعض الممالك فيها بإعلان استقلالها عن الدولة السلوقية ، مثل برجامون

^١ - C. A. H. p. 166.

(٢) مفيد المعابد. للمرجع السابق. ص. ٢٧٩.

^٣ - C. A. H. P. 176- 177.

Pergamon و بيثينيا Bithynia وبونتوس Pontus وكبادوكيا Cappadocia ، التي أكدت استقلالها ، وحققت حياة جديدة وقوية في ظل الحكام الذين كرسوا معظم جهودهم في تأكيد استقلالهم^(١) ، إلى أن خسرت الدولة السلوقية أملاكها في آسيا الصغرى لصالح روما ، بعد هزيمة انطيوخس الثالث Antiochus III (٢٢٣ - ١٨٧) ، في معركة مغنيزيا Magnesia ، أمام الرومان في ١٨٩ ، واضطراره لقبول صلح مهين هو صلح أباميا Apamia عام ١٨٨ ، والذي كان من بين بنوده التخلي عن ممتلكاته في آسيا الصغرى لروما^(٢).

المناطق الشرقية (بلاد فارس والولايات الشرقية)

يتضمن هذا الجزء ، بلاد فارس (إيران) ، بالإضافة إلى الولايات التي تفصل بلاد فارس عن الهند^(٣) ،

كان هذا الجزء إيرانيا بشكل رئيسي ، فعلى الرغم من أن السكان على الأرض الإيرانية المنبسطة من جنسية واحدة ، إلا أنهم يختلفون اختلافاً كبيراً في المعيشة وأسلوب الحياة لاختلاف الأمم والقبائل ، فنجد هناك بدو السهول ورعاة التلال والمزارعين والبستانيين ، ولا يخفى عنا بأن تلك المنطقة كانت قاعدة ملوك الفرس ومركزهم ، وقام ملوك الفرس ونبلاؤهم بإدخال الثقافة السومرية والعلامية القديمة إليها مع العناصر الآشورية والبابلية ، ومزيج من

^١ - Grant. M:op, cit, p65, 68.

(٣) سيد الناصري ، تاريخ وحضارة الشرق الأدنى في العصر الهلنستي. دار النهضة العربية. القاهرة.

٢٠٠٠-٢٠٠١ ، ص ٢٤٤

^٣ - Cary, M, D.Litt, Oxon, The Geographical Background of Greek and Roman History, Oxford, 1949, pp. 191-194.

الحنثية والآرامية ، وكان الإيرانيون الذين ينتمون إلى القبائل الإيرانية الأولى يحتلون المكانة الأولى في الدولة ، ويشرفون على الخطوط الأساسية للحياة والدين ، وإن جاز لنا التعبير يمكننا أن نقول: يحد تلك المقاطعات الثقافية جناحان : مقاطعة الهند ذات الحضارة المتطورة من ناحية الجنوب ، والأرض الأرمينية المنبسطة وتلال القوقاز من ناحية الشمال الغربي ، والتي تميزت بحضارتها المزدهرة التي ضمت عناصر حثية وقوقازية^(١) ، ولدينا سؤال يطرح نفسه وهو: كيف استطاع حكم السلوقيين أن يدوم في تلك المناطق من أراضي الأخمينيين والساسانيين بالرغم من البعد والاختلاف في الجنس واللغة والدين ونمط الحياة ، وبمكنا الإجابة من خلال الإطلاع على التنظيم الداخلي والسياسي للسلوقيين في إيران ، ففوة السلوقيين وسيطرتهم لم تكن مؤسساتية بل كانت شخصية ، واستندت على قوة الملك والجيش ، وخير شاهد على ذلك: خلال المعركة التي خاضها الملك انطيوخس الثالث ضد الثائر مولون ، فنجد جزءاً من قوات مولون انضمت إلى الملك الشرعي حالما شاهده ، أما القسم الآخر من قوات الثائر التي لم تشاهد الملك قاتلت بعناد^(٢).

سوريا (بلاد الرافدين مع سوريا وفينيقيا)

شكلت مركز الدولة السلوقية وتألقت من ممالك بابل وأشور التي ترجع إلى آلاف السنين وكانت تختلف من ناحية المعيشة ، فسوريا أرض المدن الآرية ، واعتمادها الرئيسي على تجارة القوافل واعتمدت فينيقية على التجارة والصناعة ، ومدن الساحل والساحل الفلسطيني كان امتداداً لفينيقية ، أما الجزء

^١ - C. A, H. p. 155.

^٢ - Ehsan Yarshater. Op. cit. p.7.

الداخلي أو اليهودي فقد كانت حياتهم بدائية رعوية ، هذا بالإضافة إلى المزارعين والبستانيين تحت حماية الإله يهوه (اسم الله بالعبرية ومعبدته في القدس)^(١) ، الدولة السلوقية بتعدد قومياتها التي شملت العناصر: الإغريقية والمقدونية والسوريين والبابليين والفرس (الإيرانيين) والأهالي الوطنيين في آسيا الصغرى واليهود ، على اختلاف جنسهم ولغتهم وديانتهم ومستوى معيشتهم ونمطه ، فالشرطان الرئيسيان لجمع تلك الرعايا المختلفة تحت سلطة سيد واحد كانا: القوة العسكرية واتفاق الظروف^(٢) ، فالطابع العام للبلاد الذي تسلمه السلوقيون من أسلافهم جعل مهمة السيطرة عليه صعبة ومعقدة وخاصة بالنسبة لورثة الإسكندر ، فالملوك الفرس كانوا يملكون قاعدة قوية من الإيرانيين ، وكان خلف الإسكندر خاصته المقدونيون الذين اعتمد عليهم هذا بالإضافة إلى شخصيته الساحرة ، أما السلوقيون فلقد ازداد موقفهم صعوبة خاصة بعد وفاة سلوقس الأول مؤسس الدولة السلوقية ، وضياح الحلم باتحاد السلطة السلوقية والمقدونية^(٣) ، وكانوا ملزمين بالقيام بمهمة صعبة الانجاز في هذا البلد المتنافر والمتنوع جغرافيا ، والذي ضم شعوبا عديدة من مستويات متباينة اقتصاديا وثقافيا منذ الوجود البدائي الرعوي حتى الحياة الحضارية في المدن الشهيرة ، فكان عليهم أن يخلقوا من تلك الشعوب كلاً منسجماً ، وهذا ما كان يميز مملكتهم عن مملكة البطالمة المتحدة من وجهة النظر العرقية

^١ - C. A. H. P. 156.

(٣) أندريه إيمار. جانين أوبوليه. ترجمة فريد م. داغر. فولاد ج. لبريخان. تاريخ الحضارات العالم للشرق واليونان القديمة. منشورات عويدات. بيروت. باريس. ط. ٢. ١٩٨٦. ص. ٤٧١.

^٣ - C. A. H. p. 177.

والجغرافية^(١) ، وكان على الحكام السلوقيين أن يراعوا هذا التباين في ثقافات تلك الشعوب التي يحكموها ، ولكنهم في نفس الوقت كانوا شديدي الاعتزاز بأصلهم الإغريقي ، فعملوا على نشر الحضارة الإغريقية في ربوع دولتهم^(٢) ، وأدرك سلوقس الأول وسلالته بأنهم لن يستطيعوا السيطرة على تلك المناطق الشاسعة إلا بالذكاء وبواسطة الرجال اليونانيين وإدخال الأفكار اليونانية^(٣) ، وترسيخ سلطانهم في هذا المحيط الأجنبي يعتمد بالدرجة الأولى على السكان اليونانيين^(٤) ، ولذلك قام سلوقس الأول وخلفاؤه الأوائل مثل أنطيوخس الأول بتأسيس النواة الإغريقية المقدونية التي ضمنت استمرار السلالة لمدة ٢٠٠ سنة ، وذلك بإقامة شبكة كثيفة من المدن اليونانية والمقدونية والمقاطعات والقرى ، وزرعت تلك المدن على الطرق الرئيسية ، وامتدت من السواحل الإيجية عبر آسيا الصغرى وسورية وبلاد ما بين النهرين وبابل ، وعلى طول الطريق إلى باكتريا وسوجديا ، وبالتالي عملوا على توسيع المناطق الهلينية وتقوية العنصر "إيراني" لتأخذ المملكة طابعا يونانياً ، ونجحوا إلى حد ما في ذلك ، ولكن تلك السياسة واجهت عقبات كثيرة في عهد خلفائهم^(٥) ، وأسكن السلوقيون الأعرقة والمقدونيين في تلك المدن والمستعمرات ، ليكونوا جنوداً

(٢) ف. دياكوف. م. كوفاليف. الحضارات القديمة. ترجمة نسيم واكيم يازجي. دار علاء الدين. دمشق.

ج. ٢. ط. ٢٠٠٦. ص. ٤٠٦.

(٣) أبو اليسر فرح. دور اليهود في الصراع على العرش السلوقي. مجلة مركز الدراسات البردية والنقوش. الجدد. ٢٤. القاهرة. ٢٠٠٧م. ص..

³ - Diodorus, XIX, 90,3.

(١) ول. ديورانت. قصة الحضارة. ترجمة محمد بدران. جامعة الدول العربية. القاهرة. ١٩٥٤. ص.

٤٧.

⁵ - C.A H. P. 158, 160.

لهم عند الحاجة ، وكان هؤلاء مواطنين أصلاً ، أما البقية من أبناء البلد الأصليين فيعتبرون جماعات عنصرية وطنية ولا يتمتعون بالمواطنة إلا فئة صغيرة منهم ، بينما في مصر فقد انتشر الأغارقة والمقدونيون في البلاد أيام البطالمة ، لأن هؤلاء لم يبنوا مدناً على غرار السلوقيين ، واختلطوا بالسكان المصريين ، وتزاوج الفريقان ، وتمثلوا بالحضارة المصرية ، وبخاصة مايتعلق منها بشؤون الدين ، واهتموا بتعلم اللغة المصرية ، ففي رسالة بردية تعود إلى القرن الثاني ق م تروي فيها أم أن ابنها يتعلم اللغة المصرية أملاً في أن يحسن وضعه المادي (أي أن يجد عمل أفضل بسبب معرفته اللغة الوطنية)^(١) ، أما في سوريا فقد احتفظ هؤلاء بالعنصر الأصلي ، وإضافة إلى هذا الفرق العنصري ، كان هناك فرق آخر ، وهو أن القادمين إلى البلاد كانوا يتكلمون اليونانية ، أما سكان البلد فقد احتفظوا بلغاتهم الأصلية ، فكانت الآرامية تغلب على الشمال ، والفينيقيّة تستعمل في الساحل الفينيقي (اللبناني) ، والعربية في الشرق والجنوب الشرقي ، ولم تنتشر اليونانية إلا بين الفئات من أهل البلد الأصليين المقيمين في المدن في أغلب الحالات ، ولكننا نلاحظ الكثيرين ممن يكتبون تاريخ الدول الهلنستية يحاولون التطلع إلى نواحي الوحدة ، ونحسب أن اهتمامهم بذلك يعود إلى أن الإسكندر كان قد عني بالوحدة لكنه لم يُعط من العمر ما يكفي لتحقيق هدفه^(٢) ، والحقيقة أنه وعلى الرغم من حرص الحكام السلوقيين على نشر الحضارة الإغريقية ، إلا أنهم احترمو حضارة الشعوب التي عاشت في كنفهم ، فمثلاً أعادوا إحياء الحضارة

^١ - Bell, H.I, op. cit.p. 38.

(٢) نقولاً زيادة. المرجع السابق. ص. ٦٠ ، ٦١ ، ٨٠ ، ٨١.

البابلية ، ويمكننا القول: بأن الدولة السلوقية اتبعت سياسة التسامح مع كافة رعاياها ، وحققت نجاح كبير في هذا المجال ، إلا أنها أخفقت في واحدة وهي حالة اليهود ، الذين خاضوا صراعاً مريراً ضد الدولة السلوقية^(١) ، وكان على الدولة السلوقية أن تهب الشرق الأدنى للاستقرار والنظام السياسي ، اللذين وهبتهما إياه فارس قبل الإسكندر ، واللذين أعادتتهما إليه روما بعد قيصر ، وعلى الرغم من إتباع سياسة الهلينية إلا أنه يمكننا القول : إن الشرق لم يغلب على أمره فخصائصه متأصلة فيه ، وكان الغشاء اليوناني الذي يغشى البلاد البعيدة عن البحر رقيقاً والمراكز الهلينية القائمة في تلك الأصقاع مثل سلوقية على دجلة^(٢) ، جزراً يونانية في البحر الشرقي ، ولم تمتزج في هذه الأصقاع الأجناس والثقافات الامتزاج الذي كان يحلم به الإسكندر ، بل كان من فوق سطحه يونانياً وحضارة يونانية ومن تحتها خليطاً من الشعوب والثقافات الشرقية ، ولم تدخل الصفات الذهنية اليونانية في العقل الشرقي ، بل على العكس فعلى مرّ الأيام جاشت أساليب التفكير الشرقية من الأسفل ، وغمرت الطبقة الحاكمة اليونانية ، ثم نقلها هؤلاء إلى الغرب ، فساهمت في تبديل للعالم الوثني وأثبتت الملكية المطلقة الشرقية أنها أقوى من الديمقراطية اليونانية ، وفرضت صورتها على الغرب فأصبح الملوك اليونان والأباطرة الرومان آلهة

(٣) أبو اليسر فرح المرجع السابق. ص. ١٣.

(١) سلوقية على دجلة: Seleucia on the Tigris : مدينة تقع عند ملتقى دجلة بفتاة الفرات على بعد سبعين كيلومتراً من بابل ، أنشأها سلوقس الأول ، معظم سكانها من البابليين وتعتبر مركز مواصلات تلتقي فيها القوافل إلى الهند والغرب والجزيرة العربية ، أحلتها الرومان وأحرقوها وحلت بغداد مكانها ، يطلق على سلوقية دجلة وطيسفون (عاصمة البارثيين) مجتمعين اسم المدائن. انظر: هنري س. عبودي ، المرجع السابق ص ٤٨٣.

كما كانوا في الشرق وانتقلت نظرية حق الملوك المقدس التي كانت تسود الشرق إلى أوروبا الحديثة عن طريق روما والقسطنطينية^(١) ، لقد فشل سكان الإمبراطورية من غير اليونانيين في إظهار التعصب والحماس للسلوقيين ، وكان قبولهم سلبيًا ، مما أدى إلى انفصال أجزاء الإمبراطورية جزءًا تلو الآخر ، ولنفس السبب نجد حتى مركز السلطة السلوقية في سورية وبلاد ما بين النهرين قد تحول إلى دار آرامية لحظة انهيار السلطة المركزية والجيش الإمبراطوري ، أما بالنسبة للسكان المقدونيين واليونانيين في الأجزاء المركزية كانوا موالين ومخلصين للسلالة السلوقية^(٢).

المراجع العربية والمعرّبة

- ١- أندرو روبرت برن ، تاريخ اليونان ، ترجمة محمد توفيق حسين ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨٩
- ٢- أندريه ليمار ، جانين لوبوليه ، ترجمة فريد م داغر ، فؤاد ج. أبو ريحان ، تاريخ الحضارات للعام الشرق واليونان القديمة ، منشورات عويدات ، بيروت ، باريس ، ط٢ ، ١٩٨٦.
- ٣- إبراهيم نصحي ، تاريخ مصر في عصر البطالمة ، ج ١ ، ط٣ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٦
- ٤- أبو اليسر فرح ، الشرق الأدنى في العصرين الهلنستى والروماني ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ط١ ، ٢٠٠٢.
- ٥- ----- حملات الإسكندر الأكبر وتطور المعلومات الجغرافية عند الإغريق ، حوايات كلية الآداب جامعة عين شمس ، المجلد ٢٧ ، العدد الثاني ، ١٩٩٩
- ٦- ----- دور اليهود في الصراع على العرش الملوقي ، مجلة مركز الدراسات البردية والنقوش ، العدد ٢٤ ، القاهرة ، ٢٠٠٧.

(٢) ول ديورانت ، المرجع السابق ص٤٧.

^١ - C. A. H. VII, P.165.

- ٧- مفيد العابد ، سورية في عصر الملوك من الإسكندر إلى بومبيوس من ٣٣٣-٦٤ ق م ، دمشق ١١٩٣ .
- ٨- ----- إنشاء المدن في إطار السياسة الملوكية للهيلينة سورية ، رسالة ماجستير ، جامعة عين شمس ، القاهرة ، ١٩٧١ .
- ٩- سيد الناصري ، تاريخ وحضارة الشرق الأدنى في العصر الهلنستي . دار النهضة العربية . القاهرة . ٢٠٠٠-٢٠٠١ .
- ١٠- عبد الله الحلو ، صراع الممالك في التاريخ السوري القديم ما بين العصر السومري وسقوط المملكة التمرية ، بيسان ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٩ .
- ١١- ف. دياكوف . س. كوفاليف ، الحضارات القديمة ، ترجمة نسيم واكيم يازجي ، دار علاء الدين ، دمشق ، ج٢ ، ط٢ ، ٢٠٠٦ .
- ١٢- نقولا زيادة ، الحكم السلوقي في بلاد الشام أسسه وأساليبه ، مجلة الفكر العربي ، العدد ٢٢ ، أيلول/سبتمبر ، تشرين الأول/أكتوبر ، ١٩٨١ .
- ١٣- هنري س. عبودي ، معجم الحضارات السامية . جروس برس . لبنان . ط٢ . ١٩٩١ .
- ١٤- و. ديورانت . قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران ، جامعة الدول العربية ، القاهرة ، ١٩٥٤ .

المصادر الأجنبية

- 1- Appian, Roman History, Syrian Wars, Trans, By Hortace White, London, Loeb Classical Library, 1972.
- 2- Arrianus, History of Alexander, and Indica, Trass, By Robson, London, Loeb Classical, Library, 1954.
- 3-. Diodorus of Sisily, The Library of History, Trans, By Russel M.Geer, London, Loeb Classical Library, 1947.
- 4- Plutarchus, The Parallel Lives, Trans, By Peirin(B), London, Loeb Classical Library, 1949.

المراجع الأجنبية

- 1- Bell, H. I. Egypt From Alexander To THE Arab Conquest. Oxford. 1948
- 2- Bevan, , E. R, The House Of Seleucus, I, London, 1902.

- 3- Cambridge Ancient History, Edited By S.a. Cook, F. E, Adcock, M, P, Charles
- 4- 4- 4- Worth, VII, Second Impression, Cambridge 1954.
- 5- Cary, M, D.Litt, Oxon, The Geographic Background of Greek and Roman History, Oxford, 1949.
- 6- Ehsan Yarshater. The Cambridge History Of Iran. The Seleucid Parthian And 7- Sasanian Period, V3, London. 1983.
- 7- Grant. M. From Alexander To Cleopatra. The Hellenistic World. London. 1982.
- 8- Jouguet, Alexander The Great and The Hellenistic World, Tr, By M.R, Dobie, Chicago, 1978.
- 9- Peter Green. Alexander To Actium. London. 1990
- 10- Philip K. Hitti. The Near East In History. A 5000 Year Story. U. S. A. 1961.
- 11- Raphael Harris, The Concise History of Anti-semitism in Persia. 2007.
- 12- Rostovt Zeff. M. The Social And Economic History Of The Hellenistic World. Oxford. 1953
- 13- Tarn. W. W. The Greeks In Bactria And India. Cambridge. 1966.
- 14- Walbank. F. W, The Hellenistic World. London. 1992.
- 15- William Scott Ferguson, Greek Imperialism, Harvard University, Batoche Books, Kitchener, 2001.

♦♦♦♦